كتاب
الدر المرصوف في تاريخ الشوف

تأليف القس حنانيا المنيّر من الرهبانية الشويرية

مهّد له وعلّق حواشيه ونشره
الاب اغناطيوس سركيس
من الرهبانية الشويرية

تمهيد

المؤلف

١

اصل آل المنيّر من حلب[1] حيث كانوا ، على ما يظهر ، منذ امد بعيد يشتغلون بصناعة وتجارة النسيج المنيّر وهو الذي تكون حياكته على تيرتين . ومن هنا اسمهم . وهو بالكسر على صيغة الفاعل كما يلفظ في حلب . وان كانوا في لبنان يلفظونه بالفتح على صيغة المفعول . وكانوا هناك ثلاثة بطون يرجعون في الاصل الجامع الى بني «هلال» ويحفظ التاريخ ممن اشتهروا منهم هناك اسم القس بولس عيسى المنيّر الذي خدم ابرشية حلب الملكية الكاثوليكية واوقف بعض المخطوطات على مكتبتها .

---

١) على ذلك اجمع كل من تكلم عن اصل اسرة المنير من المؤرخين المعاصرين . على اننا عثرنا بعد كتابة ما تقدم على اوراق لدى احد افراد بيت المنير . وهي تثبت ان جد الاسرة واسمه يوحنا المنّ خرج من مصر حوالي ١٦٠١ على اثر حوادث مؤلمة . وقطن مع اخوته في بيت المقدس وتزوج هناك من بيت جالا واشتغل بصناعة التنيير والحياكة فاشتهر بها حتى غلبت على لقبه الاصلي «المنّ» وهو احد اولاده جاء في ما بعد الى ذوق مكايل ونشر صناعة الحرير المعروفة فيها . ومنه تفرعت اسرة المنير في لبنان . . .

ثم رحل بنو المنيّر الى لبنان واقاموا في زوق ميكائيل قبل القرن الثامن عشر على الارجح . بدليل ان القس حنانيا ، وهو مولود سنة ١٧٥٦ حين يتكلم عن مولده ومحتده ، لا يشير بشيء الى اسم حلب . وهذا معناه ان امر هجرتهم من هناك كان قد اصبح اقدم من ان يشار اليه .

وكان بينهم وبين المشايخ اليازجيين وشائج قربى اكيدة ، على ما يثبت قدماؤهم . ولعل هذا النسب كان من عوامل الصداقة الصادقة التي ربطت بين صاحب الترجمة والشيخ ناصيف . والتي كان من ثمارها تبادل قصائد المدائح بين الاديبين .

وممن اشتهر من هذه الاسرة في زوق ميكائيل الياس المنيّر ١٨٦٠ — ١٨٨٣ وكان على ما يظهر من زعماء الثورة الشعبية التي قامت في كسروان بين ١٨٤١ و١٨٧٣ . وكان الناس يتغنون باسمه باقاويل منها هذا البيت :

يا بو الهدوم يا صغير يا بو الرايات يا منير

اشارة الى غناه وصغر قامته ومسير الناس وراء رايته حباً وكرامة[1] .

ومن آل المنيّر اليوم رجال كثيرون متفرقون ، مرفوري النجاح في بيروت وسائر المدن اللبنانية .

٢

« حنانيا المعروف بابن المنيّر نسباً ، والمكنى بالزوقيّ لقباً ، المنضوي تحت نير الطاعة في رهبنة دير مار يوحنا الشويرية » (المترجم له في كتابة تاريخ الرهبانية ص ١)

ولد في زوق ميكائيل سنة ١٧٥٦ ؛ ودخل الرهبانية وتقيد بنذورها سنة ١٧٧٥ ؛ وارتسم كاهناً سنة ١٧٩٩ . اما سنة وفاته فلم تتصل الى معرفتنا على وجه الضبط . فهي ليست مذكورة في مكان . وكل ما نعرفه بشأنها انه يوم انقسمت الرهبانية الى فرعين ، حلبي وشويري[2] سنة ١٨٢٣ ، كان احد الذين

١) راجع في يوسف ابراهيم يزبك ، ثورة وفتنة في لبنان ص ٨٠

٢) « رهبنة دير مار يوحنا » ، كما سميت حينذاك ، او الرهبانية الباسيلية الشويرية ، كما هي معروفة اليوم . نشأت مع مطلع القرن الثامن عشر في دير مار يوحنا قرب الشوير . واجرى الله على يدها خيراً كثيراً في خدمة الكنيسة والنفوس . وامتد نطاق عملها في بلدان

نابوا عن اخوتهم البلديين – الشويريين في الاشراف على تنفيذ الاتفاقية وقسمة الارزاق والممتلكات . وكان عمره اذ ذاك قد قارب السبعين .

اما حياته الكهنوتية فقد قضاها في ادیرة الرهبانية واعمالها . منصرفاً على الارجح . الى العمل العقلي والدرس والمطالعة والتأليف ، متخلياً عن الاعمال الخارجية والادارية . وهو ما يفسر ، في ظننا ، سكوت السجلات عن ذكره . ومما يحملنا على هذا الاعتقاد ان ما تركه من المؤلفات يتطلب فراغاً لا تسمح به اعمال الخدمة والرسالة الخارجية ، في مثل ايامه .

وفي دير مار انطونيوس « القرقفة » في كفرشيما ، توثقت ولا شك علاقته بالشيخ ناصيف اليازجي. وكان صعود الشيخ الى الدير متواترًا . فضلاً عن اقامته فيه سنتين (١٨١٦—١٨١٨) كاتباً للبطريرك اغناطيوس الخامس . وقد مدحه الشيخ بقصائد ليست في ديوانه ولكنها محفوظة في خزانة الاستاذ اسكندر المعلوف . منها هذان البيتان ، على اثر عودته من سفر :

عاد الديار فكان خير نزيل وكذا البدور تعود بعد افول
هو مقبل كان البشير بوفده نشر العبير على نسيم اصيل

وفي كتابه « تاريخ الرهبنة » اشارات قليلة الى شيء من تفاصيل حياته . قال في حوادث سنة ١٧٨١ . وفيه مشهد من غصص مشاكلهم اليومية :

« في هذه السنة في شهر حزيران ذهب راهبان من دير مار يوحنا بأمر رئيسهم ... لدير مار الياس في زحلة واصحبوا معهم راهباً آخر (يعني ذاته)

الشرق العربي . وفي سنة ١٧٢٣ و ١٨٢٩ ، انقسمت الى فرعين حلبي وشويري . وما زالت ، في فرعيها هذين ، تعمل بجد واخلاص في الميدان الروحي الذي نذرت نفسها له .

وبين ابنائها ، فضلاء عمن اشتغلوا بسائر فروع المعرفة والتأليف ، نفر رغبوا في تدوين حوادث التاريخ وتركوا فيه آثارًا . منهم ، الى جانب القس حنانيا المنير : القس رفائيل كرامه . وقد نشر تاريخه في بيروت (المطبعة الكاثوليكية) سنة ١٩٢٩ بعنوان « مصادر تاريخية لحوادث لبنان وسوريا . من ١٧٦٥ الى ١٨٠٠ » والقس قسطنطين طرابلسي وكتابه معروف « بتاريخ النافتشلا » اذ قد وضعه مؤلفه حين كان وكيلاً لرهبانيته في روما في انطوش كنيسة النافتشلا وحوادثه من ١٧٢٩ الى ١٧٧٢ . ومخطوطته في خزانة دير مار يوحنا .

وغيرهم .

ونزلوا لسهل البقاع يصطادون سمكاً في الليل . وكان يومها حاكم في البقاع محمد آغا العبد . فقبض عليهم ووضع الحديد في اعناقهم وتهددهم بالقتل . واخيراً عفا عنهم اذ قدموا له خمسة ارطال قهوة وقفتين رز . وكنت الفقير من جملتهم . واقمنا في الجزير يوماً واحداً » .

وفي حوادث ١٧٩١ ، يصف معركة طاحنة قامت في زحلة بين عسكر الدولة والامير جهجاه الحرفوش امير بعلبك . وكانت على ما يظهر مشهداً عجباً . خرج الناس من بيوتهم وتجمعوا على المشارف يتفرجون برؤيتها . قال : « والفقير كنت حاضراً هذا المشهد مغيراً ملبوسي » . — وقد ذكر ذلك ايضاً في « الدر المرصوف » وفي مخطوطة بكركي حيث يقول : « وكنت الفقير موجوداً هناك في تلك المعركة اسمع واری » .

٣

في مقدمة كتاب « مذهب الدورز » يلقب الاب حنانيا نفسه بالطبيب . وقد ذكر في سجل اسماء الرهبان الى جانب اسمه : « صنعته طبيب » . وذكر له الشيخ ناصيف هذه الصنعة في احدى مدائحه بقوله : وروّية في الطب يحمد خوضها في المشكلات حنين اسرائيل .

وقد عثرنا بين مخطوطات دير مار يوحنا على بعض الكتب التي كان ينسخها او يختصرها او يطالعها . وفيها ما يثبت اكبابه على صنعة الطب واتقانه لها ، شأن الكثيرين من كهنة ورهبان تلك الايام . فقد كانوا ، لقلة الاطباء وفقر الشعب ، يتقنون مع علم الروح علم الاجساد . فيعم نفعهم للناس روحياً وجسدياً .

ومن تلك المخطوطات كتاب « تحف ازهار البستان ومختصر غاية الاتقان بغاية التدقيق وبالله التوفيق . قد اختصره لذاته القس حنانيا المنير حاذفاً منه انواع الحميات وامراض العين وبعض امراض يقتضي لعلاجها مطالعة المطولات . وذلك سنة ١٨٠١ » . وفي صفحاته الاولى حواش وفوائد طبية مختلفة منها هذان البيتان يتضمنان « معرفة الايام الجيدة للفصادة » في الشهر القبري . نذكرهما على سبيل التفكهة ، ولما فيهما من الاشارة الى معتقدات القدماء واساليبهم :

وعمرك وعمري يأتي وضناك يضنيني اما
فتقوطه إفصد به وبا هل عند الضنا

على ان المنير لم يكتف بدرس الطب وممارسته . فمطالعاته وتآليفه تثبت انه كان اديباً واسع المعرفة ، رحلة كثير الاسفار ، شاعراً خصب الانتاج ، عالما ملماً باكثر شؤون الدين والدنيا . ولا سيما التاريخ .

فمن كتبه التي تمكنا من العثور عليها والتي تدل على اتجاهه الفكري « ديوان ابن الفارض . قد تم وكمل كتابة بيد احقر من كل من خط وقرا واوفر خطأ من سائر الورى الاخ حنانيا المنير الزوقي الراهب القانوني . وذلك في نصف تشرين اول ١٧٩٧ في دير مار اشعيا » وكتاب « الشذور الذهبية في التوبة المرضية » . « صار برسم الاخ حنانيا منير راهب مار يوحنا الشويرة ١٧٨٥. وقف مؤبد برسم اخوية الرهبان الروم القانونيين بدير مار مخائيل ».

٤

ولو ان جميع مؤلفاته ومخطوطات مكتبته وادوات مطالعته باقية سليمة لدينا ، لاستطعنا ان نرسم لهذا العالم الاديب صورة كاملة واضحة ولكن الايام في حدثانها جارت عليه فطمست على اكثر آثاره ، وتآمرت ، لاسباب نجهلها ، على اخفاء اسمه وفضله . فمن الغرائب ان سجلات رهبانيته لا تشير بكلمة الى حياته واعماله . ومن الغرائب ان خزائن اقرب الناس اليه خالية من جميع مؤلفاته . ومن الغرائب ان مثل كتاب « الدر المرصوف » ليس منه في لبنان ، رغم جهدنا في التفتيش ، اكثر من نسختين . احداهما في خزانة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف . والثانية نسخة المرحوم سليم رستم باز وعنها اخذت نسخة المكتبة الشرقية التي بين ايدينا .

على انه يتراءى لنا من خلال مدائح الشيخ ناصيف له ، راهباً ورعاً تقياً مخلصاً لدعوته ، يزين فضائله بتاج التواضع ، ظريفاً خفيف الروح ، سليم النفس مسالماً ، حاو المشعر ، سريعاً الى الخدمة ، اديباً غني القريحة سريع البديهة :

شاكي السلاح سلاحه من كاغد وفرنده جمل من الانجيل

طبيباً عالماً نشيطاً مكباً على العمل . وعلى الجملة فانه تميز

بمناقب كالدر الا انها كانت مترهة عن التخليل

ومهما فرضنا في هذه المدائح من المبالغة الشعرية ، يظل فيها كثير من الدلالة على فضله وجمال نفسه .

آثاره

٥

ان آثار المنير المعروفة الان مردها ، من حيث الموضوع ، الى ثلاثة ابواب :

١) في التاريخ : الدر المرصوف ؛ وتاريخ الرهبنة ؛ ومخطوطة بكركي .

٢) في الدين : شرح عقائد الدروز ؛ ومختصر امثال سليمان .

٣) في الادب : مجموعة امثال لبنان وبر الشام . ومجموعة مقامات ؛ وديوان شعر .

وهذه كلمة موجزة عن كل منها .

ا — الدر المرصوف في تاريخ الشوف .

وسيأتي الكلام عنه مفصلاً .

ب — تاريخ الرهبنة

في حوادث سنة ١٧٧٨ من الدر المرصوف يذكر المؤلف بكلمة موجزة قصيرة قضية الغا. رهبنة الراهبة هندية الشهيرة . ثم يضيف هذه الملاحظة : « ومن اراد ان يقف على تفصيل ذلك بالكفاية فعليه بكتابنا الاخر المختص بتواريخ الرهبنات . »

ولا ندري هل للمنير كتاب مختص بتواريخ الرهبانيات ضاعت نسخته ام انها غلطة من الناسخ اراد فيها كتاب « تاريخ الرهبنة » الشويرية الذي وضعه ولخص فيه تاريخ رهبانيته منذ تأسيسها حتى سنة ١٨٠٤ .

وفي هذا الكتاب كثير من اخبار الرهبانية غير مذكور في سجلاتها . كما ان فيه كثيرًا من الاخبار والمعلومات عن لبنان الديني والسياسي في منطقة المتن خاصة .

منه نسخة عند الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف . وواحدة عند القس انطونيوس شبلي اللبناني . وواحدة في بكركي قديمة مخرومة الطرفين .

ج — مخطوطة بكركي

في خزانة المخطوطات في بكركي مخطوطة محرومة الطرفين . فلا تحمل عنواناً ولا توقيعاً ولا اسم مؤلف او ناسخ . تحتوي على نحو ١٣٠ ورقة بقياس ٢٣=١٦ . ذات خط فارسي انيق يشبه ان يكون خط الشيخ ناصيف اليازجي. وفيها حوادث من تاريخ لبنان تمتد من سنة ١٧٣٠ الى ١٨٠١ مع نقص كثير في صفحات القسم الاول منها .

ولا موضع للشك عندنا في ان هذا التاريخ ايضاً من وضع القس حنانيا لما فيه من الشبه بتاريخيه المذكورين . ولان بعض الامور مذكور في الثلاثة بالاسلوب نفسه وبالتعابير نفسها احياناً . كملاحظته التي ذكرناها عن الراهبة هندية . وكملاحظته عن وجوده في زحلة يوم معركتها التي مر ذكرها .

الا ان سرد الحوادث هنا اوسع . لا يقف عند اخبار الحروب والسياسة بل يمتد الى اخبار الاسر والمجتمع والى النكات الادبية والفرائد الشعرية .

وسواء كانت هذه المخطوطة الفريدة نسخة مطولة من الدر المرصوف ، وليس لهذا الافتراض من مبرر ، او تاريخاً مستقلاً قائماً بذاته ، فان ضياع نسخة كاملة منها تعد خسارة كبيرة — ولعل المستقبل لا يضن بالهداية الى ما يعوض عن هذه الخسارة . وفي ذلك ما فيه من الفائدة للتاريخ والادب اللبنانيين .[1]

د — شرح عقائد الدروز .

قال في مقدمته بعد البسملة : « يقول القس حنانيا منير الطبيب . انه قد كلفني احد الخلان ذو رغبة في معرفة اصول الاديان ان افحص له عن قاعدة ديانة الدروز ومبانيها وان اشرح بالاختصار غوامض معانيها . وكنت الفقير ممن يرغبون انجاز طاعته ويحاذرون جوار عصاوته ؛ فافرغت كنانة العناية لتكميل هذه الغاية » ثم يذكر كيف استعان . بعد طول التفتيش . بكتاب مسمى « مختصر البيان في مجرى الزمان » : فاستخلص منه خلاصة كاملة تامة المنال لعقائد مذهب الدروز .

١) وتود هذه المناسبة ان نثبت هنا كلمة شكر للموسيو نقولا الرجي امين خزانة الكتب في بكركي ، لما اظهره من الحب وسعة الصدر في اطلاعنا على كل ما رغبنا فيه مما هو تحت يده .

وقد ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية وطبعه بنصه العربي والافرنسي مع مقدمة وشروح وتعاليق المستشرق هنري غيز — ولعله هو الذي طلب الى المنير وضع هذه الدراسة القيمة — وقد قال فيه المستشرق الشهير دي ساسي. وهو ممن قضوا حياتهم في درس ديانة الدروز ونشر عنها كتاباً في مجلدين: «لو عرفت بهذا الكتاب من قبل لوفر علي كثيراً من العناء ولامدني بكثير من المعلومات»[1].

هـ — مختصر امثال سليمان

في ٢٩ فصلاً. و٨٤ صفحة.

قال في مقدمته: «يقول العبد الفقير الى مولاه الغني، حنانيا ابن المنير: انني لما رأيت من العباد ذوي الرغبة والاجتهاد، مكبين على تلاوة الاسفار ومجتهدين بمطالعة الاخبار، دارسين مؤلفات المعلمين وباحثين مصنفات الآباء القديسين... وقد كلفني احدهم ان اجمع له كراسة وجيزة تحوي فصولاً عزيزة ونصائح فريدة تتضمن معاني سديدة، فانقدت الفقير لطلبته وجمعت له من امثال سليمان وحكمته تلك الفصول والقراطيس المدونة في كتاب النبوات... وبينت في تعريف الفصول الامكنة التي عنها منقول».

و — مجموعة امثال لبنان وبر الشام.

نحو اربعة آلاف مثل بعضها فصيح وبعضها عامي مأخوذة من الكتب المنزلة او الاحاديث او الحكمة الشعبية. مبوبة في نحو اربعين باباً على حسب معانيها الجامعة، كالكسل والصبر والعلم والبخل وما الى ذلك.

شرحها ونشر اكثرها الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف في المشرق السنة الثانية عشرة. عن نسخة عنده معنونة: «مختصر فاكهات البستان لنزهة الخواطر والاذهان من ديوان الخوري حنانيا المنير الراهب الحناوي الشويري رحمه الله».

ز — مجموعة مقامات.

استنسخ الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عن اوراق قديمة اربع مقامات

(١) *Théologie des Druzes, ou Abrégé de leur système religieux.* — Traduit de l'arabe. Avec texte arabe par Henri Guys. Paris 1863.

منها ووجدها « تدل على براعته وان كان قد نحا فيها نحو العامة في نثرها وشعرها مع مجون دعا اليه المقام في الطب وغيره ».

ح — ديوان شعر .

اكثره ضائع. الا ان بعض قصائده مذكور في محله من كتبه ولا سيما في الدر المرصوف كهجاء الجزار ومديح سليمان باشا . وقد وصف المرحوم الاب شيخو شعره بان « نظمه رقيق منسجم . بليغ المعاني وان لم يكن من النمط العالي. وهو دليل على ان صاحبه من ذوي العقول البارزة... ثم نشر امثلة من هذا الشعر في «المشرق» السنة الرابعة وفي كتابه « الآداب العربية في القرن الثامن عشر » الجزء الاول.

قرظه الشيخ عبدالله اليازجي ببيتين قال :

عش بالهنا والخير والرضوان يا من عنيت بنظم ذا الديوان .
اني لقد طالعته فوجدته نظماً فريداً ما له من ثاني[1]

والى القارئ هذه الابيات من رثائه للبطريرك اغناطيوس صروف سنة ١٨١٢ .

فعلام دمعي من عيوني يذرف والام لا برقا ولا يتكفكف
هل كابدت كبدي لظى لا ينطفي أم في حشاي لهيب نار يتلهف

يا شمس افق الشرق ذاع ضياؤه في الغرب اني شمس فخرك تكسف
يا رأس كهنة بيعة الله التقي ثبتت ايضاً في الاعالي اسفف
اواه ! واسفي ولوعاتي على من كل من يبدي به يتأسف
قسماً فلو يفدى لكنت فديته بالروح مرتاحاً ولا اتوقف .

٦

الدر المرصوف في تاريخ الشوف .

والاجدر ان يقال تاريخ السياسة اللبنانية مدى حكم الشهابيين . فحوادثه تبتدي مع : اول من تولى حكم جبل الشوف وجلس على كرسي دير القمر بشير الشهابي سنة ١١٠٩ (١٦٩٧)؛ وينتهي في حكم الامير بشير الثاني الكبير

١) راجع عيسى المطوف . في الثمرة الزهائية ١٩٦٣ ص ٦١ — ٦٥

سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧) . وقلما يتعرض ، كما سنرى ، لغير سياسة الشهابيين وما يتبعها عن قرب او يمت اليها بسبب .

اما لماذا تقف حوادثه في هذه السنة بعينها ، مع ان حكم الامير بشير امتد حتى ١٨٤٠ ، ومع ان المؤلف عاش حتى سنة ١٨٢٣ ، على اقل تقدير ، فذلك امر لا سبيل الى البت فيه في الوقت الحاضر ، لقلة ما لدينا من المعلومات عن تفاصيل حياته ، كما اشرنا .. ولنقل هنا ان « تاريخ الرهبنة » يقف هو كذلك في سنة ١٨٠٤ (١٢١٩) .

واما دعاه « بتاريخ الشوف » لان مركز الامارة في دير القمر جعل من تلك المنطقة المسرح الطبيعي لاهم الحوادث السياسية والحربية . على انه لم يغفل الاشارة الى المهم من حوادث سائر المناطق . بل وسائر البلدان المجاورة كما قال في المقدمة : « وقد اقتصرت فيه على حوادث بلاد الشوف ونواحيها واضفت اليها ما حدث في غيرها مما انتهى الى حدوثه فيها » .

ولهذا التاريخ ميزات يتفرد بها .

اولها الايجاز على غير اقلال . فقد جمع تاريخ اكثر من مئة سنة في ما لا يبلغ المئتين صفحة . وذلك انه حصر موضوعه في نقطة واحدة . وعرف كيف يتجنب التفاصيل النافلة وان يستغني عن سرد الوثائق الطويلة بتلخيص مضمونها.

نضيف الى ذلك صدق الرواية وصحة الاخبار والتدقيق في اختيار الاحاديث وتمحيص المعلومات . ولا سيما وهو يتكلم عن امور يجري اكثرها بالقرب منه .

اما المصادر التي استعان بها في جمع معلوماته فهي اولاً المعلومات العامة التي يستعين بها كل مؤرخ من مروية ومكتوبة . وثانياً احاديث ورسائل اخوته ابناء الرهبانية الشويرية . وكانوا اذ ذاك منتشرين في كل اقطار البلاد بين لبنان وسوريا وفلسطين ومصر . ومرجعهم الى دير مار يوحنا وسائر ادياره الرهبانية . وثالثاً مشاهداته العيانية . فهو كثيراً ما يصف اموراً رآها بذاته . وما احراه ان يقول في العديد من صفحاته ما قاله في معركة زحلة المار ذكرها . « وكنت الفقير هناك ارى واسمع » .

وهو ميله هذا ولا شك جعله يخصص جهده بالتاريخ المعاصر ، وان يضع ما لم يكن تحققه بذاته على مسؤولية اصحابه . كما نبه عليه في مقدمة الدر

المرصوف وفي مقدمة « تاريخ الرهبنة » ايضاً .

ولنذكر ايضاً تجرده وموضوعيته المحسوسة. وفراغ قلبه ، في سرد الامور ، من كل ميـل او هوى . فهو ليس شهابياً ، كالامير حيدر مثلاً ، ليتغرض للشهابيين – وفي الامكان ذكر امثلة تثبت هذا الفرق – ولا هو ينتسب الى حزب من احزاب زمانه ؛ ولا مصلحة له مع احد من ارباب الامر . وانما هو راهب قابع في صومعته وديره ، ينظر الى الامور من عل ، ويذكرها بتجرد. ويعبر عنهـا برصانة تامة . اللهم ! الا حين يبلغ الى الكلام عن الامير بشير الكبير فانه لا يستطيع ان يضبط اعجابه واعظامه . والا بعض حالات معدودة يكون الظلم فيها فاضحاً فلا يملك معه تأثراته ، كقوله مثلاً في حوادث ١٧٩٠ عن نصور التويني حين ضدد الامر بقتله انه « مضى الى لعنة الله » وعن فارس الدهان : « فالهم الله الجزار فقبض عليه » . وامثال تلك الحالات قليلة عنده .

اما تدقيقهُ فقد اشار اليه في المقدمة ايضاً حين قال انه كان يفحص « فحصاً حثيثاً عن حقائق الامور قبل تسليمها الى السطور » . وهو يذهب فيه الى حد بعيد : الى حد ربما دفع القارئ الى الاهتمام احياناً . فانظر اليه يصف طغيان الجراد الذي مر بلبنان سنة ١٧٩٦ « وكان عاماً من بلاد صفد الى طرابلس » فيقول : « وكان قبل ذلك لم يترك في جميع الاراضي التي مر بها نباتا اخضر قط : الا غصناً دقيقاً من الدفلة على جانب نهر الضفا كان يجتمع عليه فيلتوي الى الماء . »

على ان هذا التدقيق خانه في بعض الاحايين . من ذلك قوله في وصف طاعون ١٧٨٤ «انه مات في مصر في ذلك الطاعون ما ينوف عن ثلاثين كرة.» (مع العلم ان الكرة كانت تساوي مئة الف).

واسلوب المنير الانشائي يتصف بالبساطة المقرونة بالمتانة والانسجام . وهذه الصفة هنا مخالفة لما يغشي على انشائه من بعض ركاكة في كتاب « تاريخ الرهبنة » . مما يدعو الى التوقف والتساؤل عن تفسير لمثل هذا التفاوت.

والذي نراه ان الامر يحتمل تفسيراً من اثنين. فاما ان المنير وضع كتاب « الدر المرصوف » بعد كتاب « تاريخ الرهبنة » – وهو الارجح – وكان الوقت قد اتاح له التمرس والتمكن من ضبط لغته وعبارته . واما ان الشيخ

ناصيف اليازجي مسح هذا الكتاب قبل نسخه ، بريشته الانيقة. وهو افتراض عنّ لنا وليس لدينا ما يثبته . وانما نعلم ان ناشري تاريخ الامير حيدر افترضا الشيء نفسه في ما يخص « الغرر الحسان. (المقدمة ص يج).

ومهما يكن من امر، فالدر المرصوف متين اللغة ، منسجم العبارة ، رشيق التركيب ، يستعذب المطالع متابعة قراءته.

٧

ولم يكن العناء كبيرًا في ضبط النص الذي ننشره. فمن بين نسخه الثلاث المعروفة لدينا ، نسخة عيسى المعلوف لا سبيل الى الاطلاع عليها الآن بسبب مرض الاستاذ المعلوف وبعده عن خزانة كتبه . بقيت نسخة المكتبة الشرقية وهي ناقصة من آخرها لا تخلو من مواضع فراغ في صفحاتها . الا ان نسخة المرحوم سليم رستم باز المأخوذة سنة ١٨٨٣ « عن نسخة قديمة بخط المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي » والتي عنها اخذت نسخة المكتبة الشرقية . تعد نسخة كاملة جميلة الخط . وان كانت لا تخلو من مواضع نقص وغموض في اوائلها خاصة . فعلى هاتين النسختين اذن نعتمد في اقرار النص ، معلقين عليه بعض حواش حين نرى ذلك ضرورياً.